

الفضاء السردى في التغريبة الهلالية دراسة تحليلية سيميائية

Narrative Space in the Hilali Migration: An Analytical Semiotic Study

قوراري تومية¹، أد-شنان قويدر²1-جامعة محمد بوضياف - المسيلة - الجزائر toumia.gourari@univ-msila.dz2-جامعة محمد بوضياف - المسيلة - الجزائر kouider.chenene@univ-msila.dz

مخبر الدراسات اللغوية والنظرية والتطبيقية

تاريخ النشر: 2026/07/01

تاريخ المراجعة: 2026/03/10

تاريخ الإيداع: 2026/01/24

ملخص: يعدّ فضاء التغريبة في سيرة بني هلال بنية دلالية عميقة تتجاوز الإطار الجغرافي لتغدو حاملاً لمعانٍ رمزية وقيمية، فهو يعبر عن رحلة وجودية من فضاء الندرة والموت في نجد إلى فضاء الأمل والحياة في تونس. ومن منظور السيميائيات السردية عند غريماس، يشكّل هذا الفضاء محور التحويلات السردية التي تتحرك وفق منطق السعي نحو موضوع القيمة، أي "الفضاء البديل"، بما يتيح رسم الترسيمية العالمية التي تحدد أدوار المرسل (القدر/الحاجة إلى الخلاص) والذات (القبيلة الهلالية) والمساعدين والمضادين.

ويكشف التحليل أنّ الفضاء ليس مجرد خلفية للأحداث، بل عنصراً فاعلاً في توليد المعنى، إذ تغدّى منه الصراعات بين الأبطال حول الاستحواذ والهيمنة. ووفق مربع غريماس الدلالي، يتجسد الفضاء الأصلي في دلالة الموت والخصب المنعدم، بينما يرمز الفضاء الجديد إلى الحياة والوعد بالخصوبة. غير أنّ هذا الوعد يظل مهدداً بصراعات الذات الهلالية وانقساماتها.

وعليه، يبرز فضاء التغريبة كفضاء قيمي وسردى يُعبّر عن جدلية الوجود الهلالي بين الفقد والاكتساب، والانتماء والافتلاع، في مسار بحث دائم عن المعنى داخل شبكة من التوترات بين الرغبة والعائق، والندرة والوفرة.

الكلمات المفتاحية: السيرة الشعبية؛ السيميائية؛ السردية؛ الفضاء البديل؛ الترسيمية العالمية؛

Abstract The space of migration in the BaniHilal epic is a profound semantic structure that transcends the geographical framework to become a carrier of symbolic and value-based meanings. It expresses an existential journey from the space of scarcity and death in Najd to the space of hope and life in Tunisia. From the perspective of Greimas's narrative semiotics, this space constitutes the axis of narrative transformations that move according to the logic of striving toward the object of value, i.e., the "alternative space." This allows for the drawing of a factorial diagram that defines the roles of the sender (fate/the need for salvation), the self (the Hilali tribe), and the helpers and opponents.

*المؤلف المراسل.

The analysis reveals that space is not merely a backdrop for events, but an active element in generating meaning, as it feeds into the conflicts between the protagonists over acquisition and domination. According to Greimas's semantic quadrant, the original space embodies the connotation of death and lost fertility, while the new space symbolizes life and the promise of fertility. However, this promise remains threatened by the conflicts and divisions within the Hilali self.

Accordingly, the space of exile emerges as a value-based and narrative space that expresses the dialectic of Hilali existence between loss and acquisition, belonging and uprooting, in a constant search for meaning within a network of tensions between desire and obstacle, scarcity and abundance.

Keywords Popular biography; semiotics; narrative; alternative space; global schema;

المقدمة: يشكل الأدب الشعبي ركيزة أساسية من ركائز التراث الثقافي العربي، إذ يعكس في بنائه الحكائي ورموزه وطرائق أدائه الوعي الجمعي وتمثلات الإنسان العربي للعالم. ومن بين النصوص التي اكتسبت مكانة متميزة ضمن هذا الأدب، تبرز السيرة الهلالية بوصفها نصاً شعبياً متكاملًا، استطاع أن يحتفظ بحيويته عبر الأجيال، لما يتضمّنه من قيم إنسانية وجمالية ومعرفية، تجسّد رؤية المجتمع العربي لذاته، ولعلاقته بالمكان والزمان والتاريخ. وتتوزّع السيرة الهلالية على مجموعة من المحطات الحكائية التي تتنوّع في أحداثها ودلالاتها، غير أنّ مرحلة التغريبة تظلّ من أكثرها ثراءً وتعقيدًا من الناحية السردية والدلالية، إذ تمثّل لحظة عبور كبرى من فضاء الانتماء إلى فضاء الاكتشاف، ومن الاستقرار إلى الارتحال، ومن الانغلاق إلى الانفتاح. فهي لا تُقدّم مجرد مسار جغرافي من نجد إلى تونس، بل تُصاغ بوصفها رحلة رمزية تختبر فيها القبيلة وجودها وتعيد من خلالها بناء علاقتها بالأرض وبالأخر من هذا المنطلق تكتسي دراسة الفضاء السردية في التغريبة الهلالية أهمية بالغة، إذ لا يُنظر إليه باعتباره خلفية محايدة للأحداث، بل بوصفه عنصراً بنيوياً فاعلاً يسهم في توليد المعنى وتوجيه السرد فالفضاء في هذا الجزء من السيرة يتجاوز بعده المكاني إلى بعد دلالي وثقافي، يعكس تحولات الذات الجماعية في مواجهة المحن والتحديات، ويواكب تشكّل القيم الجديدة في سياق الانتقال من فضاء مهدد بالموت إلى فضاء الاستقرار.

لتحليل هذه الأبعاد، اعتمد هذا البحث المنهج السيميائي، تحديداً نظرية غريماس، لما توفّره من آليات إجرائية تمكّن من دراسة البنية السردية وتحليل وظائف الفضاء داخلها، كما تُبرز دوره في بناء الحكمة وتوليد الدلالة يأتي هذا الاختيار المنهجي استجابةً لضرورة تجاوز القراءات الانطباعية والوصفية التي تناولت النصوص الشعبية، نحو قراءات تحليلية تُبرز البنية الداخلية للنص وقدرته على إنتاج المعنى ومساهمته في توجه ربط النصوص التراثية العربية بالمقاربات النقدية الحديثة، وإثبات قابليتها للتفاعل مع المناهج المعاصرة في دراسة السرد. وبناءً على ذلك، تتمحور إشكالية حول السؤال الرئيس الآتي:

كيف يُسهم الفضاء في بناء البنية السردية والدلالية للتغريبة الهلالية وفق التصور السيميائي عند غريماس؟ ومن هذه الإشكالية تتفرّع التساؤلات التالية:

ما الخصائص البنيوية التي تميّز الفضاء في التغريبة الهلالية؟

وكيف تتفاعل مكونات الفضاء مع المحاور العاملية والبرامج السردية؟.

تتسم التغريبة الهلالية ببنية سردية متسلسلة، تتكون من سلسلة قصصية (ست وعشرون قصة تقريباً) من خلالها يتم تحليل مراحل الزمكان للنص وتشير الدراسات إلى أن هذه السلسلة تمثل مراحل سردية رئيسية تحدد الانتقالات الزمكانية الكبرى للقبيلة فهي ليست مجرد تغيير في الخلفية الجغرافية، بل تحولات جوهرية، تعكس كيفية تنظيم الأحداث وتحرك الشخصيات عبر الزمن والمكان، وتوضح الطريقة التي يخلق بها النص مساحة دلالية متكاملة تجمع بين الحركة المكانية والدينامية الزمنية، بما يسمح بفهم تطور الأحداث والهوية الجماعية.

السياق والمراحل الروائية الكبرى: تتخذ السيرة الهلالية من نجد العديّة منطلقاً لبدايتها، وتحدد مرحلة نشأة بني هلال بعد وفاة الزير أبي ليلي المهلهل، مع الإشارة إلى ربط عابر ومهم بين أنساب القبيلة والنبي المختار (بلخيري 2023: 88).

استناداً إلى تحديد عبد الحميد بورايو لمحددات التقطيع الواحد يمكننا القول أن التغريبة تتكون من مقطع واحد تحدده ثلاثة مراحل زمنية متسلسلة (ما قبل أثناء ما بعد) (بورايو 2003: 7) فهي تنقسم إلى أربعة أقسام تتخللها ثلاثة مراحل زمنية ومكانية:

1. مرحلة الريادة: وهي مرحلة استكشاف الطريق والبحث عن البديل المكاني.
 2. مرحلة المسيرة (التغريبة): وتمثل الحركة الكبرى للقبيلة عبر بلاد السند، الروم، الشام، وصولاً إلى شمال أفريقيا.
 3. مرحلة غزو بلاد الغرب: وهي مرحلة الصراع العسكري للوصول إلى موضوع القيمة (تونس/الاستقرار).
 4. مرحلة النزاع الداخلي بعد الاستقرار: وتمثل التحول السلبي في بنية القبيلة. (بوسماحة 2005: 15).
- الرحلة (المسيرة) كنسق دلالي: إن الرحلة في التغريبة ليست خطأً جغرافياً محايداً، بل هي كرو نوطوب المغامرة بامتياز. ينقل الراوي القبيلة وجيوشها عبر أرجاء الجزيرة العربية وبلاد الشام وغرب إفريقيا" (السابق 88)، مسجلاً أدق التفاصيل الجغرافية والحربية.

الإطار النظري ومقاربات الفضاء في السرد: تمثل التغريبة الهلالية نموذجًا متقدمًا للسيرة الشعبية العربية، نصًا تتداخل فيه مفاهيم التاريخ والأسطورة والواقع والخيال ضمن طبيعة قبلية معقدة وبرز ذلك في العلاقة المتبادل بين الشكل والمضمون فالحلم موازاة مع ذلك جاء " معادلا الحقيقة الناصعة وأن تعبير الرؤيا جاء موافقا الواقع فهي أمر لا مفر منه " (بوخالفة 2003: 332) حيث يغدو السرد في التغريبة وسيلة لإعادة بناء التاريخ في صورة أسطورة جماعية تعيد تمثيل التحوّل الاجتماعي والثقافي الذي عرفته المنطقة وتؤرخ التغريبة بأسلوبها الخاص لصدى مرحلة حاسمة من التصادم الحضاري بين العرب الهلاليين والبربر الزناتيين (السابق: 6).

إن تحليل هذا النص الملحمي الضخم يتطلب تطبيق مناهج نقدية حديثة تتجاوز الوصف السياقي للأحداث إلى الكشف عن الأنساق الدلالية والرمزية المضمرة، ولهذا تُعد المقاربة السيميائية السردية بالاستناد إلى مفهوم الفضاء الزمكاني، المدخل الأكثر دقة وعمقًا لفهم بنيته ووظيفته الأيديولوجية فالفضاء الزمكاني ليس مجرد خلفية للأحداث بل عنصرا نشطا يحمل دلالات رمزية ويكشف التفاعل بين المكان والزمان والصراع.

الفضاء السردي من الإطار المكاني إلى الدلالة الرمزية:

يُعرف الفضاء السردي في النظرية الأدبية الحديثة بأنه أكثر من مجرد إطار جغرافي للأحداث؛ بل هو كيان زمكاني موحد لقد أكدت النظرية النسبية ضرورة عدم الفصل بين الزمان والمكان، وهو ما تبناه ميخائيل باختين في مفهومه المحوري " الكرونوتوب الذي يعين الوحدة الفنية للعمل الأدبي في علاقاته مع الحقيقة (حمداوي 1: 43) إن معالجة مفهوم الفضاء تتطلب تحريره منهجيًا من التعميم، بالاعتماد على تصورات فلسفية ونقدية راسخة قدمتها مدارس نقدية كالسميائية والشكلانية والشعرية الحديثة (السابق 49) التي أعادت تعريف الفضاء باعتباره بنية دلالية تتأسس على العلاقات الداخلية للنص لا على امتداداته الخارجية وبناءً على هذا التصور النظري الذي حدد موقع الفضاء السردي داخل البنية الحكائية وبيّن علاقته الجدلية بالزمان والمعنى، يصبح من الممكن الانتقال إلى المستوى التحليلي الذي يُعنى بتفكيك مكونات هذا الفضاء ورصد آليات تشكّله داخل النصوص الملحمية. ويمكن في هذا الإطار تفكيك الفضاء السردي إلى أربعة مستويات رئيسية لتحليله في النصوص الملحمية كما حددها حميد لحميدان (لحميدان 1991: 99)

الفضاء الجغرافي: هو مكان ينتجه الحكي، وهو محدودٌ جغرافياً، قابلٌ للإدراك والتخيل، ويتحركُ فيه الأبطال، ويضم الفضاء مجموعة الأمكنة في القصة أو الرواية وإطارها المتحرك (سعيد 2024: 2). بوصفه الإطار الواقعي والمادي الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتعاقب ضمنه الأحداث، مثل الانتقال بين نجد وسيناء وتونس. ويُبرز هذا المفهوم الدور الملموس للمكان في تحديد المسار المكاني للحكاية، بما يعكس الطابع الواقعي للفضاء النصي: وهو فضاء مكاني أيضاً غير أنه يتعلق بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائي؛ من حيث هي أحرف طباعية متتالية على مساحة الورق. وهو التوظيف البنيوي للمكان داخل السرد، من حيث ترتيب الأحداث المكاني والتنقلات الجغرافية التي يحددها الراوي "أي فضاء الصفحة والكتاب بمجمله و الذي يعد المكان المادي الوحيد الموجود في الرواية، حيث يجري اللقاء بين وعي الكاتب ووعي القارئ." (مبروك 2002: 136).

الحركة والتنقل داخل العالم السردى

الفضاء الدلالي (الرمزي): ويشير إلى الصورة التي تشكلها لغة السرد، وما يترتب عنها من: أبعاد مرتبطة بالدلالة المجازية. يظهر الفضاء الدلالي (الرمزي) بوصفه بعداً مجازياً يتجاوز حدود المكان المادي، ويُبرز هذا البعد الوظيفة التأويلية للفضاء، حيث يتحول المكان إلى حامل للدلالة ومعبّر عن القيم والتصورات التي تنسجها البنية الحكائية للفضاء كمنظور: وهو الطريقة التي من خلالها يستطيع الكاتب أن يسيطر على عالمه.

نظرية الكرونوتوب الباختيني والسيرة الشعبية: من خلال تحليل مستويات الفضاء السردى توضح أنّ المكان في النصوص الملحمية لا يقتصر على كونه إطاراً للحركة، بل يشكل نسقاً دلاليّاً متكاملّاً تتفاعل فيه الأبعاد الجغرافية والبنيوية والرمزية لتوليد المعنى وترسيخ البنية الحكائية. ومن هذا المنظور، يغدو الفضاء عنصراً مركزياً في فهم تشكّل العالم السردى وتطور الشخصيات. وانطلاقاً من هذه الرؤية، تبرز أهمية نظرية الكرونوتوب الباختيني بوصفها مقارنة تُعمّق فهم العلاقة بين الزمان والمكان في السرد، وهو ما يتجلى بوضوح في بنية السيرة الشعبية.

فالفضاء في السرد لا يُختزل في بعده المكاني، بل يستوعب البعد الزمني الذي يمنحه الحركة والتطور، مما يجعله بنية فاعلة في تشكيل الأحداث وتوجيه مسارات الشخصيات. ومن ثمّ فإن دراسة الفضاء السردى تُعدّ مدخلاً أساسياً لفهم الكيفية التي يتجسد بها المعنى في النص الأدبي من خلال ترابط الأزمنة والأمكنة في شبكة سردية متكاملة ومن خلال هذه الوحدة يتحدد نوع العمل الأدبي وطبيعته (كالمحمة أو الرواية مثلاً)، لأن طريقة تمثيل الزمن والمكان هي التي تميّز كل نوع أدبي عن غيره. وبما أن التغريبة نص شفاهي يتميز بمرونته الهائلة وقابليته للإضافة والحذف مع كل أداء جديد، فإن الكرونوتوب فيها ليس جامداً، بل يتجدد باستمرار بفضل وظائف جديدة ومعانٍ مستحدثة. فالفضاء الزمكاني في التغريبة لا يخضع لثبات بنيوي كما في السرد الإبيقي الكلاسيكي، بل يفتح على تحولات دلالية متواصلة ناتجة عن طبيعة الأداء الشفاهي الذي يعيد تشكيل الأحداث والأمكنة تبعاً لسياقات الرواية المتجددة. وهكذا تتحول التغريبة إلى نصّ حيّ تتفاعل فيه الأزمنة والأمكنة لتعبّر عن وعي جمعي متحرك يتجاوز الإطار الإبيقي المغلق (حمداوي 1: 59) (هذا التجديد المستمر في التلقي الشعبي. يمنع

الفضاء من البقاء أحاديًا؛ فالاستجابة الجماهيرية المتنوعة، سواء كانت بطولية أو جغرافية (أبو اللسل 2017: 28)، تلون الفضاء السردي بحسب هموم ومواقع الجماعات المتلقية

الأدوات الإجرائية للمقاربة السيميائية السردية:

تعدّ السيميائية من المناهج النقدية التي حظيت باهتمام واسع في تحليل الخطاب السردي، خاصة لما توفره من أدوات لفهم البنية العميقة للنص وتجاوز النظرة الكلاسيكية السياقية إلى البحث عن المعنى الخفي والمضمّر. ومن أبرز أدوات التحليل السيميائي السردي (أحمد 2023: 35) على وصف البنية السردية و تحليل وظائفها ودلالاتها في النص ومن أبرزها

1. تحليل برنامج السرد: يتم تحليل الفضاء ضمن هيكل البرنامج السردى الذي يتكون من: التحفيز (الدافع)، القدرة (إمكانية الفعل)، والجزاء (تقويم الكينونة) (كورتيس 2010: 94).

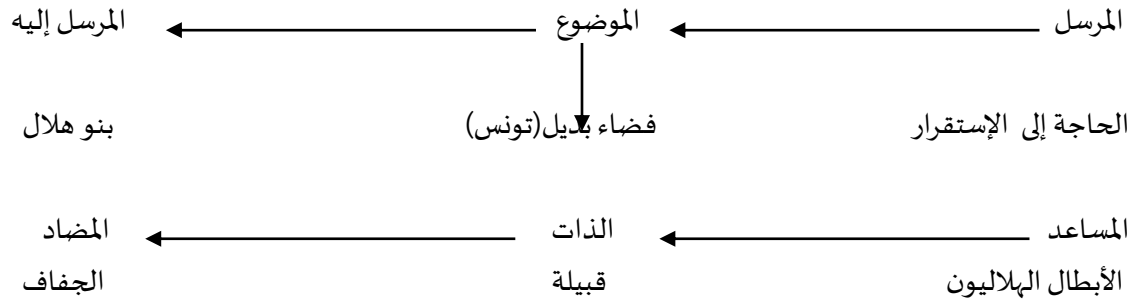
ويُظهر هذا التصور أن البرنامج السردى ليس مجرد تسلسل للأفعال، بل هو بنية دلالية متكاملة تُفصح عن منطق التحول في مسار الشخصية من وضع أولي إلى آخر نهائي. فالعناصر المكوّنة له تترابط لتكشف عن البنية العميقة للفعل السردى، أي عن علاقة الكينونة بالفعل وعن الموجهات القيمية التي تحدد مسار داخل الفضاء الحكائي. ومن ثمّ فإن تحليل الفضاء في ضوء هذا البرنامج يسمح بفهم كيفية تشكل المعنى وتحول الذات عبر التوتر بين الرغبة والواجب والقدرة فهي ليست خيارًا بطوليًا فحسب، بل هي ضرورة سردية ووجودية.

يوضح الراوي أن القبيلة اضطرت لشن الحروب والتحرك بفعل " الحاجة " الاقتصادية أو الضغط الاجتماعي، إلى جانب طموح أمرائها في إطار النموذج السيميائي، تعمل الحاجة التي دفعت للهجرة من نجد بوصفها المرسل الذي يحدد الفعل الإجرائي، بينما يُعين المكان المستهدف (الغرب/تونس) كموضوع القيمة المنشودة وهكذا يرتبط الفضاء السردى مباشرة بالضرورة المادية والبرنامج السردى لتحقيق الاكتساب. ليغدو " رمز للحياة بزخمها وخضمها المعبر عن تناقضاتها وتجاربها بما أنه فضاء لاكتساب الأهلية، فهو من الناحية النفسية وسيط بالنظر لدوره كقنطرة توصل إلى الإنجاز " (حجو 2012: 171) فهو يمثل الغاية التي تسعى الذات الجماعية (القبيلة الهلالية) إلى بلوغها، في مقابل العقبات والموانع التي تجسّدها قسوة الطبيعة في نجد التي تحولت إلى فضاء طرد بفعل الجفاف بالإضافة إلى الأمكنة المعادية أو المملوك الخصوم التي تشكل عامل المضاد لذات الحال بينها وبين اتصالها بالموضوع وبهذا يحتل الفضاء "قيمة ضمن مسار الفعل السردى؛" (بورايو 2007: 105) ويتحوّل إلى عنصر فاعل في بناء الحبكة، إذ يوجّه مسار الرحلة ويحدّد طبيعة الأفعال والتحوّلات، فيغدو كل انتقال مكاني خطوة نحو الاتصال بالموضوع.

ويمكن تجسيد هذه العلاقة من خلال الترسيمية العاملة التي تعد من أبرز النماذج التحليلية التي اقترحها أ.ج. غريماس للكشف عن البنية العميقة للسرد، إذ تهدف إلى تحديد العلاقات القائمة بين مختلف الفواعل التي

تسهم في تحقيق الفعل السردى وتكشف عن العلاقات التي تربط بين مختلف الفواعل داخل النص السردى وتتكون من "ثلاثة أزواج كل زوج يحدد طبيعة العلاقة التي تربط بين طرفي كل زوج وطبيعة العلاقة التي تربط بين الأزواج الثلاثة" (بوعزة 2010: 65) وتتمثل في الذات وهي الفاعل المركزي الذي يسعى إلى الإتصال بالموضوع وبلوغ الهدف فهي تحتل أهمية بالغة وموقعا بارزا ومتميزا عن بقية العوامل الأخرى وذلك راجع إلى "الدور الذي تقوم به في الخطاب السردى" (بوعزة 2010: 31) والموضوع الذي يعد الغاية أو "القيمة التي تسعى الذات لتحقيقها" كما يعتبر "الحالة التي ستنتهي إليها الحكاية يكون فعل الذات إما باتجاه إلغاء حالة ما أو إثباتها أو خلق حالة جديدة" (السابق 66) والمرسل الذي يمثل الحافز الذي يدفع الذات نحو الإتصال بالموضوع والمرسل إليه هو الجهة المستفيدة من تحقيق الموضوع أما فيما يخص المساعد الذي يساند الذات لتحقيق مقصدها من خلال ما يقدمه من دعم أو وساطة إيجابية وأخيرا المعارض الذي يقف في مواجهة الذات ويعرقل مسارها نحو الإتصال بالموضوع، و"تعمل هذه الثنائيات" وفق ثلاثة محاور وهي محور الرغبة بين الذات والموضوع " (فنية التشكيل الفضائي 6/ 35) الذي يحرك السرد ويكشف عن إرادة الذات وسعيها في سبيل إمتلاك الموضوع مما يكون البعد الغائي للحكاية، أما محور المعرفة فيجمع بين المساعد والمعارض وهو محور الصراع الذي يتحدد عبره مدى وعي الذات بوسائلها و معيقاتها في بلوغ الهدف أما فيما يخص محور الإتصال بين المرسل والمرسل إليه يتمثل في البنية التبادلية للقيم داخل النص السردى إذ يتم من خلاله نقل الرسالة أو القيمة التي تضفي على الفعل معناه النهائي سواء تجسدت في تحقيق العدالة أو نيل الحرية أو إستعادة الهوية.

وفي ضوء هذه العناصر يمكن تحليل التغريبة بوصفها بناء سرديا يتمحور حول البحث عن الفضاء البديل بوصفه موضوعا قيميا وهنا تتجلى العلاقات العاملة على النحو التالي :



يمكن ترجمة هذه الترسيم وقراءة فضاء التغريبة الهلالية من خلالها يتجلى الفضاء بوصفه بنية سردية تتحرك ضمن شبكة من العلاقات العاملة التي تكشف عن عمق التجربة الوجودية للقبيلة في بحثها عن فضاء بديل فعلى محور الرغبة تتحدد العلاقة بين الذات المتمثلة في الجماعة الهلالية و الموضوع المتمثل في الفضاء البديل الذي تسعى الذات لبلوغه بعد ضياع موطنها الأول في نجد، أما محور المعرفة فيتجلى من خلال الصراع بين المساند الذي يسير عملية الانتقال ويغذي روح الجماعة بقيم الشجاعة والفروسية و التعاون... والمعارض الذي يتمثل في العوائق الطبيعية وبشرية التي تواجه الهلاليين في هجرتهم من جفاف و قحط وحروب بينما يتجسد محور الإتصال بين المرسل الذي يمثل القيم العليا والحلم الجماعي بالإستقرار و فضاء خصب و المرسل

إليه الذي هو القبيلة ذاتها في صورة جديدة بعد اكتمال وتحقيق اتصالها بالموضوع وتحولها من جماعة تائهة إلى جماعة تنعم بالإستقرار و السيادة.

بالنسبة للذات فتتمثل في أبطال السيرة ، أما الموضوع فيتجلى في الفضاء لبدیل (تونس) يتجلى المرسل في الحاجة إلى الخلاص من الجفاف والقحط الذي ضرب أرض نجد وهو ما ولد دافعا جماعيا نحو الهجرة، أما المرسل إليه فهو الجماعة الهلالية المستفيد المباشر من تحقيق الموضوع، ويساند هذه الذات في مسارها عدة عوامل كالفرسية، والتماسك القبلي والإيمان بالمصير الجماعي بينما يجسد المعارض الطبيعة القاسية ، والقبائل المنافسة التي تنازع الهلاليين على الفضاء الجديد.

تتفاعل هذه الترسيمية العاملة مع مسار الرحلة السردية التي تشكّل الهيكل العميق للتغريبة الهلالية؛ إذ تتوزّع مراحلها وفق منطقٍ تحويليٍّ يبرز تطوّر الفعل من الانطلاق إلى التتويج. فالمرحلة الأولى (الانطلاق) تنبثق من فضاء الطرد، حيث تدفع الحاجة إلى النجاة الذات الجماعية إلى مغادرة نجد. أمّا المرحلة الثانية (الاختبار)، فتتمثّل في سلسلة المواجهات التي تخوضها القبيلة مع الملوك المعتدين والأمكنة المقاومة، وهي اختبارات تؤكّد جدارة الذات بتحقيق الهدف. بينما تمثّل المرحلة الأخيرة (الوصول/التتويج) لحظة الظفر بالفضاء الجديد (تونس)، بما يرمز إلى تحقق القيمة ، أي الاستقرار والسيادة. وبهذا، تنكشف الرحلة بوصفها مسارًا سيميائيًا للبحث عن معنى الوجود الجمعي في فضاءٍ يضمن استمرار الحياة و كرمز على فضاء البحث عن البديل للوطن، والثاني يتناول فضاء المعركة وثنائية الحياة والموت.

ثانيا فضاء الصراع وثنائية الحياة/الموت: "ديوان اليتامي"

عند وصولهم إلى تونس، لم يكتفوا بالاحتلال، بل سعوا إلى السيادة. فالفضاء البديل يجب أن يوفر الحياة والحماية. أما الحياة، فتوفرها الخضرة والخصب، إذ وجدها الراوي "كثيرة المياه والنبات متسعة البراري والفلوات تصلح للحرب والقتال ومرعى النوق والجمال... وقد تعجب من خيرات تلك البلاد..." (حنفي 1963: 33). وأما الحماية، فتوفرها الحصون المنيعّة "المتينة"، وأبراجها حصينة كثيرة القلاع قوية الدفاع". وتأتي السيادة عبر الاستيلاء على الحكم، كما يتضح من قول حسن: "وأملك بلاد الغرب بحد صارمي وأسلطتك في الغرب يا علام". (السابق 266).

يغدو الفضاء في هذا الجزء من التغريبة صورةً رمزيةً لتحوّلات الوعي والقيم؛ إذ يبدأ كأفقٍ للحياة والاستقرار، لينقلب في النهاية إلى مرآةٍ للفناء والتنازع، كاشفًا عن مأساة الذات الهلالية التي أخفقت في تحويل الفضاء البديل، فحوّلته صراعاتها إلى فضاء للموت، من خلال تراكم صور القتال ومشاهد الحروب والنزاعات والصراع. فالبساتين والقصور والواحات تصبح سبباً ومسرحاً للعراك، ويتحول الفضاء الأخضر الزاهي إلى متاهة خراب تملؤها الجثث والدماء. هنا نكون أمام مقارنة الحياة والموت حيث يذهب بنو هلال طمعاً في الحياة فيلاقيهم الموت.

حيث يتناول هذا الجزء "ديوان اليتامى" الصراع الذي نشأ بين الأمير ذياب والسلطان حسن حول السيادة على جزء من بلاد المغرب، وتحديدًا أرض تعرف بـ "سلوان وغيط الهرجان"، والتي أشارت إليها "زعيمة ست الغرب التي كانت ملمة بنفسية الهلالية" لأن من يريد أن يؤثر في النفس عليه أن يسبر أغوارها ليكشف المواضع الحساسة و الضعيفة فيها ليدغدغها أو يتلاعب بها أو يهاجمها وفق غاياته " (نوفل 2007: 11) الحرب النفسية ويتجسد ذلك " بقولها: "عندي في هذه الأرض والبلاد عين تسمى سلوان وغيط الهرجان وأنا خاطري أقسم هذه البلاد ويكون الغيط لك" (التغريبة 266).

هذا الاكتشاف لأرض جديدة أصبحت ملكيتها سبباً في صراع بين "الإخوة الأعداء وأدي إلى " تنافر هلاي-هلاي وتتجسد هذه الصلات بحدة "حين يرفض ذياب تسليم الأرض للسلطان حسن، رغم أن هذا الأخير هو الأحق بها بحكم سلطانه.

حيث عملت "زعيمة" على تأجيج هذا الصراع حول هذا الفضاء رغبة منها في الأخذ بالثأر و الانتقام من مقتل أخيها "وكل ما يسبقه و يليه من حوادث متعلقة به يعد من أقوى الدوافع النفسية التي تثير الشفقة و الحنين في النفوس و تدفع بها إلى الرغبة في الأخذ بالثأر و الانتقام من هذا الفعل الفظيع" فصار هذا الفضاء منبعا للشقاق، اشتداد التنافس بين أفراد القبيلة على ما حوله، فانقلب الفضاء إلى منطلقٍ للانقسام الداخلي الذي زاد من حدته ترغيب زعيمة حسن وأبي زيد في امتلاك الأرض .

قائلة: "وأنت سلطان ولا تعرف ايش جرى ذياب تملك يا حسن وارتاح
غدا شوفها أنت وأبو زيد باكرا واجلس فيها يا حسن وارتاح"
(حنفي 1963: 266)

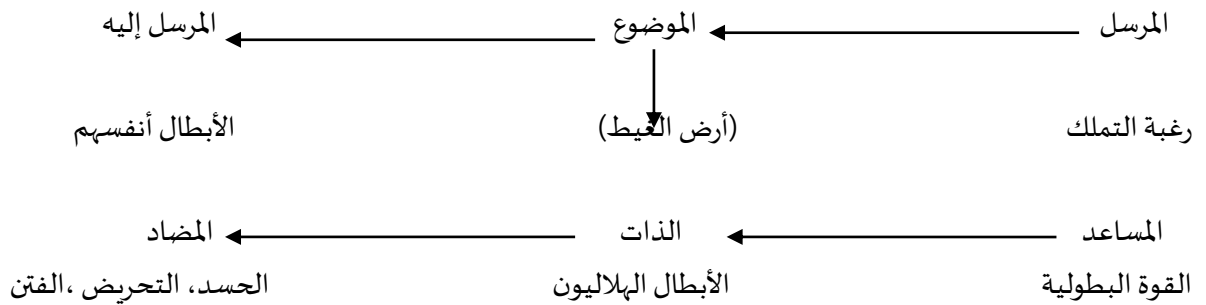
تتخذ البنية الصراعية هنا شكلاً جديداً ومختلفاً، علاوة على ذلك، يتجه الفضاء إلى الاتساع، لكن هذا الاتساع لم يستوعب طموحات الشخصيات. فبدلاً من الوحدة، وقع الحسد في نفوسهم، كما قال الأمير حسن: "والله يا أمير أبو زيد ان الأمير ذياب حاز أفرح ملك..." حيث ظهرت هذه الشخصيات "في بداية الحكاية بصورة معينة ولكنها تنتهي بتحويلات تجعلها تتغير بصورة جذرية" وقد زاد هذا الاتساع من مطامع الشخصيات، مما دفعهم إلى التصارع فيما بينهم لانتزاع فضاءات بعضهم البعض، وهكذا فإن الفضاء البديل، الذي كان في البداية عامل وحدة وتضامن، أصبح مع مرور الزمن عامل فرقة وتناحر.

حيث تتنافس الشخصيات الرئيسية (ذياب، أبو زيد، حسن) على سيادة الغرب يمثل ويعكس هذا التحول العميق تبدلاً في بنية القيم التي تحكم السرد؛ إذ انتقلت من قيم حياة تمجد الاكتشاف والتوطن والإعمار، إلى قيم صراع تُعلي من منطق القوة والسيادة. فأضحى الفضاء مرآةً لوعي جماعي مأزوم، يسعى إلى تحقيق ذاته عبر

السيطرة لا عبر التعايش، فكانت النتيجة مفارقةً دلاليةً تُحوّل الانتصار إلى بذرةٍ للهزيمة، والخصب إلى مقدمةٍ للفناء.

هذا الصراع تحول على مستوى الأحداث، حيث ترفض شخصية (ذياب) الانصياع لشخصية (حسن) المفترض أنها أعلى سلطة، بعد أن بدأت بذور الحسد تقع في نفوس الأمراء نجد عنصر المواجهة قائماً على طول المسار السردى للذوات (أبو زيد، ذياب، حسن) من أجل الحصول على موضوع القيمة الواحد (أرض الغيط) بسبب اشتراك موضوع الرغبة وتنازع الأطراف عليه، تحدث المواجهة الفعلية. يقول الراوي: "ثم إنهم جمعوا قومهم وذهبوا إلى قتال الأمير ذياب... فلما التقى الجيشين برز إلى الميدان فبرز إليه الأمير ذياب". إن فشل الذات في تحقيق غاية الحصول على الأرض، يلجأ المرسل (الأطماع والأحقاد) إلى رسالة جديدة مضمونها الحصول على موضوع الرغبة بذات، ولكن بطريقة أخرى تتعدى غاية المواجهة للحصول على الأرض (الغيط).

التحليل السيميائي للترسيمة العاملة؛ ويمكن تمثيل البنية العاملة كما يلي:



بناء على تصورات غريماس أن الحصول على موضوع واحد تتصارع عليه عدة ذوات.

- الذات: الأبطال الهلاليون (ذياب، حسن، أبو زيد).
- الموضوع فيتمثل في السيادة والتمكين (أرض الغيط)
- المرسل يتمثل في الرغبة في التملك والسيادة / الحلم بالفضاء البديل،
- المرسل إليه فيتجلى في القبيلة الهلالية أو الذات الجماعية (الفرسان الهلاليون).
- أما فيما يخص المساعد يتمثل في القوة البطولية، الشجاعة،
- المضاد فهو الحسد، الأنانية، الطموح الفردي، التحريض من طرف ست الغرب من خلال خطاباتها المحرّضة، تشعل جذوة التنافس وتحوّل الفضاء البديل من رمز للنجاة الجماعية إلى موضوع نزاع.

ينبني الصراع الداخلي بين الأبطال على تعدد الذوات المتنافسة على موضوع واحد، هو الفضاء البديل. فبدل أن يكون الموضوع عاملاً موحّداً، يعكس "لونا من التماسك" (يونس 1995: 66) يتحوّل إلى بؤرة انقسام، تتكشف

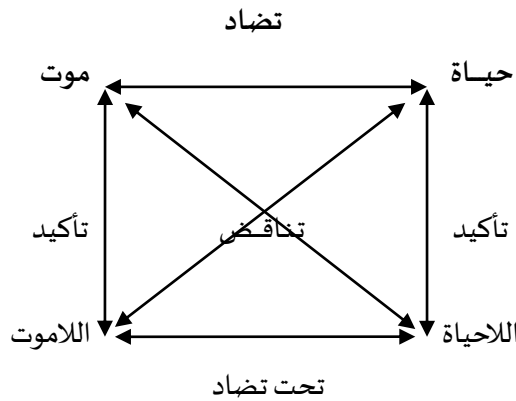
من خلالها نزعات التملك والأنانية، ما يعكس انهيار قيم الجماعة لصالح نزعات فردية "وعلى ضوء هذه المحاور يتبدى وضع السردية ونمط اشتغالها واشكال تمظهرها" (هامون 1990: 11).

ثنائية الحياة والموت في ضوء المربع السيميائي

تُعدّ ثنائية الحياة والموت إحدى الثنائيات المحورية التي تنتظم حولها البنية الدلالية في تجربة بني هلال. فهي لا تُفهم على نحو بيولوجي صرف، بل تتجاوز ذلك لتجسّد رؤية الوجود للعالم، تعبّر عن خلالها القبيلة عن وعيها بالذات وبمصيرها، وتؤسّس لعلاقتها بالزمن والفضاء. ولأجل استجلاء عمق هذه الثنائية، يمكن استثمار المربع السيميائي الذي يعد نموذجاً "منطقياً يضبط شبكة من العلاقات بين الوحدات الدلالية المختلفة" (بن مالك 2000: 27) وينتج من خلاله الكشف عن العلاقات المنطقية والدلالية التي تحكم المفاهيم المتقابلة داخل النص والتي تتحكم في توليد المعاني وتحولها يقوم هذا المربع على منطق تقابلي وفق ثلاث علاقات أساسية هي "علاقة التضاد وعلاقة التناقض وعلاقة التضمنين".

فالمربع السيميائي يقوم على منطق التقابل بين مفهومين متضادين وما ينتج عنهما من نفيين وفق العلاقات التالية: موقع دلالي التمثيل المفهومي الدلالة العامة الحياة الوجود، الاستمرار، الحركة، الانتماء الموت الفناء، الفقد، الانكسار، الضياع اللا حياة السكون، التيه، الفراغ، العدمية الموت اللاموت الخلود الرمزي، البقاء في الذاكرة، تجاوز الفناء يتموضع كل عنصر داخل شبكة من العلاقات: التضاد بين الحياة والموت. التنافي بين الحياة واللا حياة، وبين الموت واللاموت.

يمكن ترجمة التجربة الهلالية إلى بنية سيميائية تتوزع عبر المربع السيميائي التالي:



بناء على تمفصلات المربع السيميائي "لتحديد الحقيقة الجوهرية للحكي" ينفتح النص الهلالي على ديناميكية سردية تتحرك داخل هذا المربع وفق منطق تحويلي :

تبدأ الحكاية في فضاء نجد، حيث يسود القحط والجفاف والضيق، فيعيش الهلاليون حالة من العجز، بما يجعلهم في وضع بين الحياة والموت، فاقدين شروط الاستقرار والاستمرار وتجسد لحظة الترحال كخيار حتي للعبور من الضيق إلى الاتساع. الحياة هنا ليست مجرد بقاء بيولوجي، بل هي فعل إرادي للبحث عن المعنى واستعادة السيادة على المصير. إنها حياة مكتسبة عبر المغامرة والمواجهة.

يمكن تحليل هذه التقابلات عبر هيكل سيميائي يوضح القيمة الدلالية الكامنة في الفضاءات الجغرافية: التقابلات السيميائية المكانية في التغريبة الهلالية

الوظيفة السردية	القيمة الدلالية السلبية	القيمة الدلالية الايجابية	التقابل المكاني
المُرسل والمنطلق	القحط، الجوع، دافع الهجرة.	الأصل، النبل، الأنساب.	الشرق (نجد)
الفاعل المضاد والمساعد في آن واحد	التيه، القدر، الخطر، الموت.	الاختبار العبور، إثبات الشجاعة.	الصحراء (الطريق)
موضوع القيمة	الغربة، الزوال، الصراع الداخلي.	الوفرة، الغنيمة، الاستقرار، موضوع القيمة.	الغرب (تونس الخضراء)
حالة النتيجة السلبية	التشتت (كما في مرحلة النزاع الداخلي).	إعادة بناء الهوية بعد التطهير.	ما ليس بالغرب (الضبياع)

ثالثا: الشخصيات كفواعل مكانية وسيميائية: تضطلع بعض الشخصيات بدور محوري في ربط الأنساق المكانية، فتتحول إلى فواعل سيميائية لا مجرد أفراد.

تُعد شخصية "ميّ الهلالية" مثالا نموذجيا على ذلك؛ فهي ليست مجرد خادمة، بل هي بمثابة "عين (كاميرا) السرد الرابط بين الشرق والغرب بانتقالها من نجد (حيث كانت خادمة مي) إلى تونس (حيث أصبحت خادمة سعدة بنت الخليفة الزناتي) (قريش 2010: 21)، تتحول ميّ إلى حاملة إشارة؛ إذ تجسد عملية النقل المعرفي والثقافي الضرورية التي تسبق الغزو. إن حركتها المكانية هي في الواقع وساطة سيميائية تفتح الجسر لدخول الهلاليين إلى بلاد الغرب، مما يؤكد أن المكان لا يتحدد فقط بالجغرافيا، بل أيضا بحركة الكيانات الفاعلة عبره

1.3 الفضاء الدلالي والتمثيل الرمزي للأيديولوجيا والسرد: يعمل الفضاء السردي في التغريبة كأداة أيديولوجية قوية، حيث يُستخدم لشرعنة الوجود القبلي وترسيخ الذاكرة الجماعية. هذه الرؤية الإيديولوجية التي تحدد مسار الوجود الهلالي "فيصبح البعد الايديولوجي ركنا ثابتا و له أثره على الفضاء بشكل خاص" (بن ستيقي 2016: 82).

2.3 الفضاء المتحول: من البداوة القاسية إلى الحضرمتهالك: يمر الزمكان الهلالي بتحول نوعي يرتبط بنهاية البرنامج السردى الرئيسى. فإذا كانت المرحلة الأولى (التغريبة/المسيرة) تمثل كرونوتوب المغامرة والديناميكية، فإن المرحلة الأخيرة النزاع الداخلى بعد الاستقرار تمثل فضاء السقوط. إن التحول المكاني من الحركة المستمرة إلى الثبات والاستقرار في بلاد الغرب يحمل دلالة سيميائية سلبية: فالاستقرار، الذي كان يُفترض أن يكون الجزء أو موضوع القيمة، يتحول إلى علامة على الضعف والتفتت القبلي.

النتائج: أظهرت الدراسة التحليلية السيميائية للفضاء السردى في التغريبة الهلالية أن هذا الفضاء يتجاوز كونه إطاراً مادياً ليصبح نظاماً سيميائياً ديناميكياً ومعقداً، يخضع لتأويل مستمر ويخدم وظائف أيديولوجية وسردية متعددة.

أ/ الفضاء الزمكاني كنظام دلالي: الفضاء السردى في التغريبة هو في جوهره كرونوتوب هجرة وصراع، حيث يتحد الزمان والمكان لتحديد الوحدة الفنية للنص. هذا الزمكان لا يتصف بالجمود، بل بالمرونة والتجديد المستمر بفعل التلقى الشعبى.

ب/ الفضاء الجغرافى (من نجد إلى الغرب) مُحمل بقيم سيميائية تهدف إلى فرض الوجود الهلالي والحفاظ على الأنساب. إن المسيرة نفسها هي فعل تدوين ونشر للتاريخ الشعبى.

ج/ التقابلات السيميائية الأساسية: يتجسد الصراع الملحمى في تقابلات مكانية واضحة (الصحراء/المدينة، الشرق/الغرب)، حيث تعمل هذه المواقع كفواعل ضمن برنامج سردي يحدد حركة الأبطال نحو موضوع القيمة (الاستقرار والوفرة).

د/ أهمية الشخصيات كجسور مكانية: شخصيات مثل ميّ الهلالية تؤكد أن التحليل السيميائى يعالج الشخصيات بوصفها حاملة للإشارة ووسيلة للحركة المكانية، مما يربط بشكل وثيق بين الفاعل والفضاء الدلالي.

لقد أكدت المقاربة السيميائية السردية فاعليتها في كشف البنى العميقة لهذا النص الشعبى، مما يمهّد الطريق لمزيد من الدراسات التى تتناول الفضاء.

ويشير التحليل إلى أن الفضاء الجغرافى المروي يُستخدم للتمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الاجتماعى (الشففى) وبذلك يعمل الفضاء السردى كملفوظ سردي يحمل دلالات عميقة، تؤكد أن المقاربة السيميائية للمسيرة تظل خطوة مستمرة نحو الكشف عن هذه الأنساق الدلالية المعقدة. إن التغريبة الهلالية، كنص حي متجدد، تستدعى مناهج مرنة قادرة على استيعاب التداخل بين الثابت (النواة التاريخية) والمتغير (الأداء والسيميائية الثقافية).

قائمة المراجع:

1. حنفي عبد أحمد (1963)، سيرة بني هلال الكبرى (شامية الأصل)، ملتزم الطبع والنشر، القاهرة، مصر، ط2.
2. الحضرمي طه حسين (2019) مشكلة مفهوم الفضاء في الدراسات السردية الحديثة. مجلة حضر موت الثقافية، العدد. 2019
3. بن ستيقي سعدية (2016) فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد) لوسيني الأعرج دراسة سيميائية، دارالخلدونية، الجزائر، ط1، 2016
4. بن مالك رشيد (2000)، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص السردية، دار الحكمة، الجزائر ط1.
5. بوخالفة عزي (2003)، مذكرة الدكتوراه، تغريبة بني هلال، كلية الأدب واللغات، جامعة الجزائر.
6. بورايو عبد الحميد (2003)، التحليل السيميائي للخطاب السردية، دارالغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1
7. بورايو عبد الحميد (2007)، الأدب الشعبي الجزائري، دارالقصبة للنشر، الجزائر، دط.
8. بوسماحة عبد الحميد (2005)، المسير في تغريبة بني هلال بين الواقع والخيال، "أطروحة دكتوراه" جامعة الجزائر. كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وادابها.
9. بوعزة محمد (2010)، تحليل النص السردية تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1.
10. حجو محمد (2012)، الإنسان وإنسجام الكون سيميائيات الحكيم الشعبي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1.
11. رشيد بن مالك (2000) مقدمة في سيميائية السردية، دارالقصبة للنشر، دط.
12. قريش روزلينيلي (2003) تغريبة بنهلال الكبرى بالشامية الأصلية، دارالفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1.
13. قريش وزلين ليلي (2010)، مفرسة سيرة بني هلال الكبرى، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر..
14. لحميدان حميد (1991)، بنية النص السردية، من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان.
15. مبروك مراد عبد الرحمان (2002)، جيولوجيا النص الأدبي الروائي نموذج دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1.
16. معتصم محمد (2021)، مناهج تحليل النص السردية. فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
17. نوفل (1987)، أحمد، الحرب النفسية، شهاب للطباعة والنشر، الجزائر.
18. هامون فليب (1990)، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترالسعيد بنكراد، دارالكلام، المغرب، دط.
19. هامون فليب (1990)، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترالسعيد بنكراد، دارالكلام، المغرب، دط،
20. يقطين سعيد (2001)، إنفتاح النص الروائي النص والسياق، دار البيضاء، المغرب، ط2.
21. يونس عبد الحميد (1995)، الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي، دار الكتب المصرية ط، 2.
22. حمداوي جميل، النظرية الشكلانية في الأدب والفن والنقد، جامع الكتب الإسلامية، مجلد 01.
23. كورتيس جوزيف (2010)، سيميائية اللغة، (تر جمال خضري)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1.
24. يقطين سعيد (1997)، قال الراوي المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، ط1.

مقالات

- (1) أبو الليل خالد (2017). السيرة الهلالية والتلقي الشعبي دراسة في اشكال الاستجابة الجماهيرية. مجلة الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر. ع 38.
- (2) بلخيري هاجر (2023). البنية السردية لسيرة بني هلال. مجلة أفانين الخطاب، مج3، ع2.
- (3) بن عبد الكريم أحمد (2023). تعليمية التحليل السيميائي للنصوص السردية.... مجلة اللسانيات التطبيقية، مج7، ع2.

- (4) سعيد نجلاء (2024)، مقال الفضاء السردي و دوره في تشكيل الحكايا ..قراءة في مجموعة "محاولة أخيرة للظهور" ،موقع الكتابة، 2024/10/29
- (5) العابد عبد المجيد (2025). التحليل السيميائي السردى لرواية "اللس والكلاب" لنجيب محفوظ. مجلة أقلام الثقافية.
- (6) عبد الحافظ محمد حسن (2016). سردية الطقوس في سيرة بني هلال -رحلة خضرا الشريفة الى بلاد العلامات- مجلة الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر. ع33.
- (7) عبد الحافظ محمد حسن(2005). السيرة الشعبية وقضايا النوع الادبي.... مجلة الحوار المتمدن، ع1.
- (8) عراب أحمد(2020)، تعدد مفاهيم مصطلح الفضاء في ضوء المقاربات السردية. مجلة دراسات لسانية، مج3، ع1.
- (9) فراحتية نبيلة(2020)، آليات التحليل السيميائي للنص السردى في الخطاب النقدي الجزائري - تجربة عبد الحميد بورايو، ورشيد بن مالك أنموذجا. مجلة الفضاء المغاربي. مج3، ع4.

(A.J). Greimas, (J). Courtes :Sémiotique, Dictionnaire Raisonné